المعبر عنهما متشابهتان الى حد بعيد ، مما يحتم على اللغة المستعملة في كليهما ان تكون متشابهة كذلك . ذلك ان تجربة الموت ـــ البعث هي تجربة اساسية واجماعية لدى الادباء الفلسطينيين في اسرائيل . ففي مسرحية توفيق فياض « بيت الجنون » نرى البطل سامي يكتشف انتصاره عندما يعلن انه سيصل الى ذروة قوته في ذلك اليوم الذي لا يتبقى عنده اي شيء على الاطلاق . كما ان اقصوصة اميل حبيبي الاخيرة تنتهي باللقاء الذي يتم بين اختين من نفس الشعب في زنزانة الاعتقال : انهما تشعران وكأنهما في منزلهما اخيرا .

ما الذي ستكون عليه تلك الحياة المأمولة ؟ ان الاسطورة لا تقول ذلك ابدا . فالرسالة السياسية تكمن بشكل خاص ، في الانفلات من الخرافة ، تلك الخرافة التي تغذي الصهيونية دون شك ، ولكنها تغذي كذلك وبالدرجة الاولى ، أنين القدماء . ستكون هنالك عودة ، لكنها لن تكون لماض نبكيه . انهم لا يتكلمون عن طرد المحتل ـــ ايما شرف سيكون ذلك ! ـــ لكنهم مصممون على ان يتنفسوا وان يكونوا ، وهم يأملون كذلك بأن الثورة سوف تحدث . لكن التعابير تظل عامة جدا . انهم يشجعون الامل اكثر مما يرسمون مستقبلا .

« المغنون » الفلسطينيون يستعيدون نفسهم اليوم ، حين يجهرون بكلامهم . « أطفالنا الآتون » هم أصحاب الغد . فالامل يتمثل بجيل المستقبل . « متنا وعشنا ، والطريق واحدة » . أن بيت « رمبو » يبدو هنا معكوسا ، وسبب ذلك هو دون شك ، ان محمود درويش ورفاقه ليسوا أفرادا معزولين ، ولكنهم ينطقون بلسان **شعب** مصلوب بأكمله . ان اعدام شعب بأكمله هو كلام نبوي ينبىء بقيامة : هذا هو ايمان الشعراء الفلسطينيين في اسرائيل . ان هذا الايمان وهذه الاسطورة جديدان في العالم العربي . فلا الاسطورة الدينية في المدينة المسلمة ، ولا الاسطورة القومية العربية ، ولا اسطورة اليسار المعادي للامبريالية ، ترتكز في جوهرها على هذا الايمان **بالحياة من خلال الموت** . هذا هو ما تعنيه كلمة « فدائي » بحد ذاتها . انه الانسان الذي يدفع الموت كفدية ، من اجل التكفير ومن اجل الخلاص .

ونريد ان نؤكد على **الجديد** الذي حملته هذه الاسطورة ، وهذه الرسالة الشعرية التي تفوق بعمقها كل التعابير الاوتوبية والايديولوجية ، التي عرفها العالم العربي . انه جديد لمجرد الظروف التي يأتي في ظلها ، كما سبق وبينا . وهو جديد كذلك لانه اختار بكل وضوح رفض الحنين الى الماضي ، كما رفض القدماء الذين يعيشون على الخرافات دون ان تتجسد هذه الاخيرة في حياتهم الحاضرة . ان انتصار الكلام الشعري عند درويش على الحنين والدموع والشيوخ ، هو انتصار لا ظلال عليه . فالاسطورة جديدة لان الذين يعلنونها هم **شباب** ولانها غير مشوبة بأية « عقيدة ايديولوجية » على حد تعبير رودنسون . ان الجديد في الاسطورة الفلسطينية المروجة في اسرائيل يتفجر كذلك عبر **تجلي الكلمة** .

لقد انتهى ذلك الكلام العتيد ، الفارغ والذي لا ينضب ، واصبح الشباب العرب يؤاخذون عليه اساتذتهم بشدة ، وبشكل خاص في الاوساط الفلسطينية . ان تلك الكلمة المشوهة التي فقدت قيمتها ، وريثة السجع الذي خلفه عصر الانحطاط الطويل ، والذي كانت البلاغة الدينية تحافظ عليه بغرور في المساجد الممتدة من بغداد حتى الدار البيضاء، ان تلك الكلمة قد تحولت الى كلام صادق لشعب صغير ليس له غير الكلمات الصافية تعطي شكلا لوجوده وتجعله يدرك بأنه موجود . انه يقول : « انا موجود » ويترك جلده للسياط وجسمه للصلب ! لقد أصبح الكلام ثمينا لانه اصبح محفوفا بالمخاطر وخاصة لانه لم يعد بالامكان الاستغناء عنه حتى لا يفقد الانسان هويته ، وحتى يقنع نفسه بأنه هو ذاته . انه كلام الوجود . كلام جديد فوق الارض العربية في القرن العشرين .